مفاعيل العولمة

الهويّة المتحوّلة في السعودية

مركز طوى

تشكّل الهوية الوطنية أحد المفاهيم الأساسية في تمييز الأمم والشعوب وتعريفها، كما تعكس الروابط العاطفية والفكرية التي تجمع الأفراد ضمن مجتمع معين، وتشمل الثقافة، اللغة، الدين، والتاريخ المشترك. في المملكة السعودية، تُعد الهوية الوطنية محورًا رئيسيًا من محاور النقاش الاجتماعي والسياسي، خاصة في ظل التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي تشهدها البلاد، لا سيما وأن هذه الهوية كانت من بين القضايا المغفولة في سيرورة الدولة أو المشوّهة كونها ترافقت مع مشاريع احتلال داخلي صبغت المناطق المحتلة بلون واحد.

وبمرور الوقت، واجهت المملكة السعودية، بوصفها دولة ذات أهمية استراتيجية على الصعيدين الإقليمي والدولي، تحديات متعددة تتعلق بالهوية الوطنية، والتي يعاد تشكيلها في ظل رؤية 2030، ورغبة النظام السعودي في التكيّف مع العولمة والتطورات السياسية والاقتصادية العالمية.

تحولات الهوية الوطنية في السعودية تأثرت بشكل كبير بالتغيرات في النظام الاقتصادي، أذ كان الاقتصاد يعتمد على النفط لفترة طويلة، ولكن مع رؤية 2030، تتطلع الحكومة السعودية إلى تنويع الاقتصاد، مما يؤدي إلى تأثيرات ثقافية واجتماعية عميقة. علاوة على ذلك، لعبت العوامل الاجتماعية والتغيرات في البنية المجتمعية في السعودية دورًا في تشكيل الهوية الوطنية، خصوصًا في ظل التطورات التقنية والعولمة التي تسهم في توسيع نطاق الهوية.

وعلى نحو إجمالي، فإن أهمية دراسة الهوية الوطنية في المملكة السعودية تنبع من كونها أحد المواضيع ذات الأهمية البالغة في ظل التغيرات الاجتماعية والاقتصادية الكبيرة التي مرّت وتمر بها المملكة. ونحاول هنا فهم العلاقة بين التحولات الاقتصادية

والاجتماعية والثقافية وتأثيرها على الهوية الوطنية، وأثر التغيرات الجيوسياسية على التفكير الجماعي للمواطنين في هذا البلد.

إن مناقشة الهوية الوطنية في هذا السياق تساعد في تحديد كيف يمكن للحكومة السعودية أن توازن بين الحداثة والموروث الثقافي والتاريخي، وهو ما يساهم في رسم سياسات وطنية للمستقبل. وعليه، فإن تحليل العوامل المؤثرة في تحولات الهوية الوطنية يفرض مقاربة العوامل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تساهم في تشكيل الهوية الوطنية.

دراسات الهوية الوطنية في السعودية

شهدت الهوية الوطنية في المملكة السعودية تحولًا ملحوظًا في العقود الأخيرة، وهو ما أثار اهتمام العديد من الباحثين الذين تناولوا هذا الموضوع من زوايا مختلفة. في دراسة صادرة سنة 2023 عن مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني بعنوان (الهوية الوطنية السعودية..ثوابتها وآفاقها الإنسانية) للأكاديمي د. عبد الله بن عبد الرحمن البريدي ناقش فيه قضية الهوية الوطنية في سياقات الدولة الحديثة والعولمة وثورة التقنيات وشبكة الاقتصاد والتحديات المعاصرة المتنامية، مع التركيز الأبعاد المفاهيمية والاشكالية والتطبيقية. وفيما حدد مرتكزات تسعة للهوية السعودية: الدين، واللغة، والثقافة، والمكان والزمان، والرموز، والاعتزاز، والانتماء، والولاء، والوحدة مع أن هذه المرتكزات تحمل معها قدرًا هائلًا من النقاش والتباين، فإن الباحث أراد التأكيد على مفهومي: الانتماء والولاء" كأساس للمواطنة، ما يعكس التوجه الايديولوجي للكاتب. وقد توقّف الكاتب عند الاشكاليات الهوياتية وثنائية الهوية، وأن الهوية هي هويتان: خاصة وعامة، وأن الخاصة قد تظهر في الانتماء للقبيلة أو العائلة أو الطائفة..

وأظهرت الدراسة أن هناك تأثيرًا قويًا للثقافات الغربية على الأجيال الشابة في المملكة، خصوصًا في المدن الكبرى مثل الرياض وجدة. كما تناولت الدراسة تأثير الإنترنت ووسائل الإعلام الحديثة في تغيير أنماط التفكير لدى الشباب، ما جعلهم أكثر انفتاحًا على الأفكار الغربية، وهو ما أثر على مفهوم الهوية الوطنية.

وفي دراسة أخرى نشرها ملتقى شباب الرياض بعنوان (تأثير العولمة على الهوية الثقافية للشباب السعودي..التحديات والحلول) الصادر سنة 2024 تناولت تأثير العولمة على الشباب السعودي، وكيف أن الهوية الوطنية السعودية تتعرض للتهديد بسبب هذا

التأثير. كما أظهرت الدراسة أن الشباب في المملكة السعودية عالقون بين الانفتاح على العالم والحفاظ على الهوية الثقافية المحلية. وخلصت الدراسة إلى أن الشباب في المملكة يواجهون تحديًا مزدوجًا: "من ناحية، توفر العولمة لهم الفرصة للاطلاع على ثقافات وأفكار جديدة. والتفاعل مع العالم بطريقة لم تكن ممكنة من قبل، ومن ناحية أخرى قد تؤدي هذه الانفتاحات إلى تهديد الهوية الثقافية السعودية، حيث يتعرض الشباب التأثيرات ثقافية قد تكون بعيدة عن قيمهم المحلية". ولفت إلى ضغوطات متزايدة يتعرض لها الشباب لاعتناق المعايير العالمية، مثل الأزياء الغربية، والموسيقى المعاصرة، وحتى مفاهيم الحرية الشخصية، مشدّدًا على أن هذه الضغوطات أو ما أسماه "التفاعل مع الثقافات الأجنبية" له تداعيات مباشرة على الهوية المحلية بفعل تآكل المساحة التي تشغلها التقاليد والقيم الدينية والاجتماعية في اهتمامات الأفراد.

وفي هذا السياق، يتعين على المجتمع توفير البيئة المناسبة التي تساعد الشباب على التوفيق بين الانفتاح على العالم وحفاظهم على هويتهم الثقافية، من خلال تعزيز قيم الثقافة السعودية داخل المناهج التعليمية، والتشجيع على الحفاظ على التراث من خلال الأنشطة المجتمعية والفنية.

دراسات عن التحولات الاقتصادية والاجتماعية

أظهرت دراسات تحليلية حول التحولات الاقتصادية والاجتماعية وتأثيرها على الهوية الوطنية في السعودية أن التغيرات الاقتصادية السريعة الناتجة عن رؤية 2030 أثرت بشكل كبير على مفهوم الهوية الوطنية. على سبيل المثال، أدى تعزيز دور المرأة في سوق العمل إلى تغييرات في ملامح الهوية الوطنية، حيث أصبح الشباب السعودي يرون دور المرأة أكثر أهمية في بناء المجتمع والمساهمة في الاقتصاد الوطني. كما أن الانتقال من الاقتصاد النفطي إلى الاقتصاد المتنوع أسهم في تغيير ثقافة العمل في المجتمع السعودي، مما يعكس تحولات في قيم العمل والإنتاج.

من جهة أخرى، أظهرت دراسة تحليلية أخرى حول الهوية الوطنية في السعودية بعد العولمة، أن تأثير العولمة على الثقافة السعودية يتجاوز التأثيرات الاقتصادية والاجتماعية ليشمل أيضًا جوانب ثقافية، مثل التقليد والمستهلك الثقافي. أصبحت وسائل الإعلام العالمية، خاصةً الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي، تؤثر على أذواق

الناس وقيمهم بشكل غير مسبوق، ما يؤدي إلى تحديات في الحفاظ على الهوية الوطنية السعودية في مواجهة العولمة الثقافية.

مستقبل الهوية الوطنية ورؤية 2030

الرؤية المستقبلية لسنة 2030، التي أُعلنت في عام 2016، هي خطة استراتيجية طويلة المدى تهدف إلى التحفيز على تحقيق تحول اقتصادي شامل يعزز المكانة العالمية للبلاد. في سياق الهوية الوطنية، تهدف الرؤية إلى تعزيز الثقافة الوطنية السعودية وتعميق الانتماء للوطن، بينما تتجه البلاد نحو مجتمع عالمي متنوع. مع التركيز على تنمية قدرات الشباب وتمكينهم من الانخراط في مجالات جديدة مثل التكنولوجيا والإعلام والفنون، تسعى الرؤية إلى تحقيق نوع من التوازن بين الحفاظ على الهوية الثقافية العميقة والانفتاح على الثقافات العالمية.

وعلى نحو إجمالي، إن استشراف مستقبل الهوية الوطنية في المملكة السعودية، يتطلب البحث في رؤية هذه الهوية، بناءً على التغيرات المستمرة في مختلف المجالات، وما هي الاستراتيجيات العملية القادرة على تعزيز الهوية الوطنية والحفاظ عليها في مواجهة التحديات المستقبلية.

وقد تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي في مقاربة موضوعة الهوية الوطنية، حيث تم جمع البيانات من مراجع أكاديمية، تقارير رسمية، دراسات سابقة، ومقالات صحفية تناولت الهوية الوطنية في المملكة السعودية. كما سيتم تحليل تأثير التحولات الاقتصادية والاجتماعية على الهوية من خلال مقارنات مع تجارب دول أخرى، بالإضافة إلى عرض أمثلة واقعية تشير إلى التغيرات التي حدثت في مجتمع الجزيرة العربية (المملكة السعودية) في العقدين الأخيرين.

1 ـ الاقتصاد والهوية

يعد الاقتصاد من العوامل الأساسية التي تساهم في تشكيل الهوية الوطنية في المملكة السعودية. وتمتلك المملكة السعودية أكبر احتياطي نفطي في العالم، وكان النفط لفترة طويلة، ولا يزال، هو المصدر الأساسي للإيرادات الحكومية، مما ساهم في بناء هوية وطنية قائمة على الثروة النفطية. ومع ذلك، فإن رؤية 2030 قد وضعت المملكة على

مسار جديد يسعى إلى تنويع الاقتصاد بعيدًا عن النفط، ولكن هذا الهدف لا يزال بعيد المنال على الرغم من مزاعم المسؤولين السعوديين حول تقليص الاعتماد على النفط كمصدر للدخل الوطني.

التحولات في الاقتصاد الوطني

ـ تنويع الاقتصاد: سعت الحكومة السعودية من خلال رؤية 2030 إلى تعزيز قطاعات غير نفطية مثل السياحة، والتكنولوجيا، والطاقة المتجددة. هذا التحول الاقتصادي يساهم في تشكيل هوية اقتصادية جديدة ترتكز على الاستدامة والانفتاح على العالم الخارجي. ومع أن هذا التحوّل لم يستكمل شروطه، فإن مجرد الانتقال الى قطاعات غير نفطية يشي بتحوّل هوياتي جوهري.

ـ تطوير قطاع الخدمات: في إطار رؤية 2030، سعت الحكومة السعودية إلى تعزيز قطاع الخدمات بما في ذلك التعليم، الرعاية الصحية، والقطاع المالي، في سياق تعزيز مفهوم الدولة الحديثة.

ـ تمكين المرأة في سوق العمل: أحد أبرز جوانب التحولات الاقتصادية في المملكة كان زيادة مشاركة المرأة في سوق العمل، وهو ما يعكس تحولًا ثقافيًا واجتماعيًا في المجتمع السعودي. ويمكن اعتبار تمكين المرأة كمؤشر مهم في تحول هوية السعودية عبر ادخال العنصر النسوي في مشهد الدولة وإن كانت مشاركة المرأة لا يزال مقتصرًا على بعده الوظيفي والتجميلي وليس البنيوي والاستراتيجي.

2 ـ العوامل الاجتماعية

التغيرات الاجتماعية التي شهدتها المملكة السعودية تُعد من أبرز العوامل المؤثرة في الهوية الوطنية. ينعكس ذلك في التحولات في بنية الأسرة، التعليم، والهجرة، بالإضافة إلى تأثير العولمة في الثقافة السعودية.

لناحية الأسرة في المملكة، فقد كانت تاريخيًا تتسم بالترابط التقليدي، حيث يسود مفهوم الأسرة الممتدة، ولكن في السنوات الأخيرة بدأت تظهر تغييرات حيث تزداد الأسر النووية في المدن الكبرى. هذا التغيير في بنية الأسرة يعكس التغيرات الاجتماعية التي تواجهها الهوية الوطنية في ظل التحولات الحديثة.

وعلى مستوى التعليم وتأثيراته، يُعد التعليم أحد العوامل المهمة التي تؤثر في الهوية الوطنية. فهناك اهتمام متزايد بربط المناهج التعليمية برؤية 2030، حيث يجري العمل على توفير تعليم يدمج بين مشاريع الرؤية ومتطلبات السوق وترسيخ مفاهيم وطنية ذات طابع سلطوي، أي ربط الانتماء الوطني بالولاء للسلطة السعودية. من جهة ثانية، تقدم الجامعات السعودية برامج أكاديمية تتعلق بالتكنولوجيا والإدارة والفنون، مما يساهم في إعادة تعريف الهوية الثقافية والتعليميّة.

من جهة ثانية، لعبت الهجرة الخارجية دورًا كبيرًا في إعادة تعريف الهوية وتشكيلها. وتعد المملكة السعودية من أكبر البلدان المستقطبة للعمالة الأجنبية، وهو ما يؤثر على الهوية الثقافية. تساهم الهجرة في زيادة التنوع الثقافي داخل المملكة السعودية، مما يخلق تحديات في الحفاظ على الهوية الثقافية المحلية، خاصة بين الأجيال الشابة التي تتأثر بالعوامل الخارجية.

3 ـ العوامل الثقافية

تمثّل الثقافة أحد الركائز الأساسية التي تشكل الهوية الوطنية في كل بلدان العالم. وتحظى الثقافة المحلية بتاريخ طويل من التقاليد الشعبية والفنية التي تمثل جزءًا أساسيًا من الهوية الوطنية.

التنوع الثقافي: وتعد الجزيرة العربية مركزًا إسلاميًا هامًا نظرًا لوجود الحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة. كما تضم مجموعة متنوعة من الثقافات والتقاليد، التي تعكس تنوعًا ثقافيًا داخليًا يُساهم في تشكيل هوية وطنية غنية، على الرغم من محاولة النظام السعودي ضغط هذا التنوع وإكراهه على الذوبان في هوية المركز النجدي.

الأنشطة الثقافية والفنية: على الرغم من التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي تمر بها البلاد، فإن الحكومة السعودية عملت على تعزيز الثقافة النجدية عبر المهرجانات والفعاليات الثقافية مثل مهرجان "الجنادرية"، أو إضفاء دمغة السعودة على كل الانشطة الثقافية القائمة بما في ذلك الأهلية منها وإظهارها وكأنها نتاج رعاية رسمية أو نشأت في حضن الدولة مثل الاسواق الشعبية، والفنون الشعبية، ومعارض الرسم والفن، وإن دعم الفنون الذي تقدّمه الحكومة من خلال منح الفرص للفنانين المحليين

والعالميين للتفاعل مع المجتمع السعودي ينطلق من فكرة هيمنة الدولة على المجال العام وتاليًا انتاج هوية عامة (وطنية) تحمل سمات الدولة وليس المجتمع.

4 ـ العوامل الجيوسياسية والاستراتيجية

الموقع الجغرافي للجزيرة العربية في منطقة غرب آسيا جعل من المملكة السعودية لاعبًا رئيسيًا في السياسة الإقليمية والدولية. هذا الموقع الاستراتيجي يرتبط ارتباطًا وثيقًا بتطورات الهوية في المملكة، خصوصًا في ظل تغيرات السياسة الإقليمية والعالمية.

النفوذ الإقليمي: تعد المملكة السعودية قوة إقليمية هامة في منطقة غرب آسيا، ولها تأثير كبير على القضايا العربية والإسلامية، خصوصًا في ظل الأزمات التي تشهدها بعض الدول العربية مثل سوريا ولبنان. هذه القضايا تساهم في تشكيل الرؤية الوطنية حول الهوية السياسية للمملكة.

التحديات الجيوسياسية: تواجه المملكة السعودية تحديات جيوسياسية كبيرة نتيجة للتوترات مع بعض الدول في المنطقة، مثل إيران وقطر. هذه التحديات تُعيد تشكيل الهوية الوطنية من خلال التأكيد على أهمية الأمن الوطني والاستقرار الداخلي.

وبناءً على هذه الرؤية، فإن مستقبل الهوية الوطنية السعودية يواجه تحديات كبيرة من حيث التأثيرات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية المتنوعة.

تحديات مستقبل الهوية

1 ـ الاختلافات بين الأجيال

تعد الفجوة بين الأجيال في المملكة السعودية إحدى أبرز التحديات التي تؤثر على تحولات الهوية الوطنية. الأجيال القديمة التي نشأت في ظل القيم التقليدية تتمسك بثقافة محافظة تعتمد على العادات والتقاليد المحلية والإسلامية، في حين أن الأجيال الجديدة، التي نشأت في ظل تأثير العولمة والانفتاح على العالم، ترى أن بعض هذه القيم قد تكون قديمة أو غير مناسبة للتطورات الحديثة. هذا الاختلاف يخلق حالة من التوتر الثقافي داخل المجتمع، حيث يتعين إيجاد التوازن بين الحفاظ على الهوية التقليدية بقيمها الدينية والاجتماعية والثقافية الكلاسيكية مع دمج القيم الحديثة التي تتماشى مع عالم العولمة.

يُلاحظ أن الجيل الأصغر يميل إلى الانفتاح على ثقافات أخرى، وهو ما يظهر في اهتمامهم بالموضة العالمية، والموسيقى، والسينما، والفنون. في المقابل، هناك جيل أكبر يتمسك بالقيم التقليدية، مما يعكس انقسامًا ثقافيًا في المجتمع السعودي. التحدي هنا يكمن في إيجاد استراتيجية متكاملة تساعد في دمج الأجيال الجديدة مع الأجيال القديمة دون المساس بالهوية الوطنية.

2 ـ التأثيرات الخارجية

تعد العولمة أحد أكبر التحديات التي تواجه الهوية الوطنية في المملكة السعودية. في السنوات الأخيرة، أصبح تأثير العولمة، خاصة عبر الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي، يزداد يومًا بعد يوم. يمكن للأفراد في السعودية اليوم الوصول إلى محتوى ثقافي من جميع أنحاء العالم في لحظة، مما يؤدي إلى تأثيرات على الهوية الثقافية والاجتماعية. أصبح الشباب السعودي، بشكل خاص، عرضة لتأثيرات ثقافات غربية قد تكون بعيدة عن القيم التقليدية التي تقوم عليها الهوية الوطنية.

وتُظهر الدراسات أن الانفتاح على العولمة يساهم في زيادة التواصل بين الأفراد من مختلف الثقافات، ما يخلق تحديًا أمام الهوية الوطنية. في الوقت نفسه، يرى البعض أن العولمة تساهم في جعل الثقافة السعودية أكثر تنوعًا وإبداعًا، مما يعزز من قوة الهوية الوطنية.

3 ـ التحديات السياسية

تواجه المملكة السعودية تحديات جيوسياسية كبيرة في المنطقة، تتعلق بالأمن الداخلي والتهديدات الخارجية. النزاعات الإقليمية، مثل الأزمة في اليمن والعلاقات المتوترة مع إيران، والحروب المتفجّرة في المنطقة بعد طوفان الأقصى في أكتوبر 2023 والتهديدات التي يحملها الكيان الاسرائيلي لعموم المنطقة ولا سيما بعد إفصاح رئيس الحكومة الاسرائيلية بنيامين نتنياهو عن ما وصفه بالمهمة التاريخية والروحية المتمثلة في إقامة "اسرائيل الكبرى" والتي أثارت حفيظة كثير من الدول العربية والاسلامية وعلى رأسها السعودية الذي سوف ينعكس على موقفها من التطبيع مع الكيان الاسرائيلي ويؤثر على التوجهات السياسية السعودية وتنعكس بدورها على الهوية الوطنية. هذه التحديات السياسية تسهم في تعزيز الهوية الوطنية من خلال تعزيز

مشاعر الانتماء للوطن في مواجهة الأزمات، إلا أنها أيضًا قد تخلق حالة من القلق الاجتماعي على المستقبل.

من ناحية أخرى، فإن السياسة الخارجية السعودية والمواقف الإقليمية قد تؤثر أيضًا في هوية المجتمع السعودي، خاصة في ظل التطورات الإقليمية والعلاقات المتجددة مع الدول الكبرى مثل الولايات المتحدة.

التوجهات المستقبلية

يُتوقع أن تستمر الهوية الوطنية في التطور في ضوء رؤية 2030 والتحولات الاقتصادية والاجتماعية. مع تزايد الاهتمام بالشباب السعودي، سيكون للجوانب الثقافية والتعليمية دور كبير في تشكيل الهوية الوطنية المستقبلية. من المحتمل أن تصبح الهوية السعودية أكثر تنوعًا وتعددًا، بحيث تستوعب التغيرات الاجتماعية والسياسية التي تطرأ على المملكة، على رغم من محاولات الحكومة السعودية التشديد على بعد واحد من الهوية الذي يبرز فيه العنصر النجدي.

يتوقع أن يشهد المستقبل السعودي انفتاحًا أكبر على العالم، مع الحفاظ على الروابط الثقافية المحلية. سيظهر نوع من التوازن بين الحفاظ على القيم الوطنية التقليدية والانفتاح على الثقافات العالمية. من المتوقع أن تزداد الأنشطة الثقافية والفنية التي تعزز من الهوية الوطنية وتساهم في الحفاظ عليها.

استراتيجيات الهوية الوطنية

تعزيز التعليم الوطني: من خلال إدخال قيم الهوية الوطنية في المناهج الدراسية، خاصة في مراحل التعليم المبكر. يجب أن يتضمن التعليم الوطني محاور تهدف إلى تربية الأجيال الجديدة على حب الوطن والانتماء له. ولكن ما حصل أن النظام السعودي وبدلًا من التركيز على القيم المشتركة لكافة المكونات السكانية، وصوغ هوية جامعة يجد كل مكون نفسه فيها، جرت عملية تشويه للهوية الوطنية وأصبحت تعني حب الحاكم والحكومة والأسرة الحاكمة وليس الوطن الجامع، وحتى الوطنية باتت تعني الولاء للسلطة الحاكمة.

دعم الأنشطة الثقافية والفنية: يمكن تنظيم مهرجانات ثقافية وفنية محلية مشتركة لتعزيز الهوية الوطنية، بدلًا من التركيز على جانب واحد من تراث السكان، ولا سيما المكوّن

الغالب مثل مهرجان الجنادرية وغيره من الفعاليات التي تعكس تاريخ وثقافة الفئة الغالبة والمهيمنة.

تعزيز دور الإعلام: يلعب الإعلام دورًا حيويًا في تشكيل الرأي العام وتعزيز الهوية الوطنية، ويجب أن يركز الإعلام على إبراز القيم المشتركة والتاريخ الجامع، بدلًا من توظيف الاعلام للترويج لخطاب السلطة ولتعزيز خطاب الهيمنة، وتظهير قيم الأقلية الغالبة وتاريخها وتراثها وتقاليدها..

في النتائج، فإن تحولات الهوية الوطنية في المملكة السعودية هي عملية ديناميكية تتأثر بالعديد من العوامل الداخلية والخارجية. العوامل الاقتصادية، الاجتماعية، الثقافية، والسياسية تساهم بشكل كبير في إعادة تشكيل الهوية الوطنية. كما أن التحديات التي يواجهها المجتمع، مثل العولمة والانفتاح على الثقافات الأخرى، تُشكل تحديًا أمام الحفاظ على الهوية الوطنية التقليدية. من خلال دراسة هذه العوامل، يمكن تقديم رؤية مستقبلية حول كيف يمكن للمملكة أن تتكيف مع التغيرات الحديثة.